الأمّ الحزينة

ما لوجه الله صحراءْ
وصمتْ يترامى عبر صحراء الرمالْ ،
ما لضيفٍ غاصبٍ
يوقد نـاره
حوله الآفاق جدرانُ مفاره
حوله أيدي الرجالْ
غابـةْ تمشي
ويمشي معها تيهُ الصحارى والبطاحْ
ويمحّي دربَها
موجْ من الرمل المدوّي في الرياحْ
ما ترى تحكي الرياحْ
عن جراح فاتها الثأرُ
وما يسكب من ضوء ومسكٍ
في الجراحْ
ما لبيت القدسِ ، بيتِ اللهِ ،
معراجِ النجومْ
ما له لم يحمِهِ سيفُ ملاك
يمتطي الريح وأبراجَ التخومْ
يضربُ الكفار ، أبناءَ الأفاعي
من سدومْ
ما حماةُ البيتِ ، والعار يغنّي
والضحايا تُستباحْ
لم ترَ الجنةَ في ظلّ الرماحْ
ويظلُّ العارُ حيّاً في جفون الميتِ
حيـاً
تجلد الميتَ رؤاهُ وتذلّه
لـن تروّي قبره
رائحةُ الفار وظلّه .

ما أثقل العار !
هل حُمّلته وحدي
وهل وحدي ترى كفّنتُ وجهي بالرمادْ
الجنازات التي يحملها الصبحْ
تدوّي في جنازات السهادْ .
الجباهُ انطفأتْ وانطفأ السيفُ
وأضواءُ البروجْ ،
ليس في الأفق سوى دخنة فحمٍ
من محيط لخليجْ ،
ليس في الافقِ
سوى ضفة نهرٍ ، وبيوت لا تبينْ
صدئتْ في خيَم المنفى المفاتيحْ
بأيدي العائدينْ ،
ليس في الأفقِ
سوى صمت السؤالْ
عن حماة القدسِ ،
والعار المغنّي خلف آثار النعالْ .
وضميرُ الله صحراءْ
وصمتْ يترامى عبرْ صحراء الرمال .

●

مـا لأمٍّ شيّعتْ
ألف مسيحٍ ومسيحْ
وأراقتْ دمها المجنونَ في أعياد حزنٍ
وانتشت بالحزنِ واشتفّتْ جنونَهْ
ما لها الأمُّ الحزينَه
ترتمي صخراً على الصخرِ
سوى شعرٍ يلوحْ
خصلٍ تنفضها الريحُ وتلقيها
على طفلٍ ذبيح .

ما وحوشٌ تدّعي الميزانَ والعرشَ
وتزهو وتغالي
تدفعُ الأرضَ الى كهفٍ
تضلُّ الشمسُ عنه ، ومصابيحُ الليالي ،
ما التماعُ الناب والحربةِ
في وجهي الدميّ
حسرتي ، لحمي ، دمي
أرضي التي يمتصّها كابوسُ حميّ
ما جدار الصمتِ في وجهِ الهٍ
يتناءى عبر صحراء الأعالي
ـ في عروق الأمِّ صمتٌ حجريٌّ لا يبالي

خليل حاوي